جامعة مولاي إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

شعبة الدراسات الاسلامية
مجزوءة : مدخل لدراسة العلوم الإنسانية

محاضرات في
مدخل لدراسة العلوم الإنسانية
الفصل الثاني - الأفواج 3 ـ 4

الجزء السادس

ذ محمد العمراوي

الموسم الجامعي

2019 . 2020م

المحور الخامس: إسهام ابن خلدون في التقعيد لعلم العمران البشري:

1) اعتراف العلماء بأسبقية ابن خلدون في علم الاجتماع:

إذا كان بعض المفكرين العرب يرفضون الاعتراف بأسبقية ابن خلدون في مجال العلوم الاجتماعية، وينكرون إسهام العقل المسلم في ابتكار العلوم أمثال طه حسين، ومحمد فريد وجدي، ومحمود إسماعيل.. فإن الكثير من الباحثين الغربيين الذين اتصفوا بالنزاهة والموضوعية أقروا بفضل ابن خلدون وأسبقيته إلى تأسيس علم الاجتماع. يقول لودويك غومبلوفيتش: " لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أكست كونت، بل قبل فيكو الذي أراد الإطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي أوروبي، جاء عالم مسلم تقي، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن وأتى في هذا الموضوع بأراء عميقة. وإن ما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع". وقال كلوزيو: " ليس لأحد أن ينكر أن ابن خلدون اكتشف مناطق مجهولة في عالم الاجتماع"...

2) أثر الثقافة الإسلامية في صياغة علم الاجتماع الخلدوني:

يعتبر ابن خلدون ابن الثقافة الإسلامية، بنى قواعده المنهجية على أسس القرآن والسنة، فكان ينطلق دوما من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي قررت أن جميع الظواهر محكومة بسنن كونية ثابتة لا تتغير ولا تتخلف؛ يسميها بقوانين الاجتماع والعمران. وهي التي قال الله عنها: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ سورة الأحزاب.

3) ملامح التفكير الاجتماعي عند ابن خلدون:

يتميز ابن خلدون بالدقة في البحث وتحري الحقائق، ولذلك دعا إلى التمييز بين التاريخ القصصي المليء بالخرافات، وبين التاريخ العلمي الذي يقوم على التثبت في نقل الأخبار. ورأى أن الحياة الاجتماعية محكومة بقوانين وسنن كونية ثابتة، ولا تسير وفق أهواء المؤرخين والباحثين. ومن أهم أفكاره في هذا المجال:

أ- تعريفه لعلم الاجتماع: بأنه "ما يعرض لطبيعة العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنيس والعصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدولة..."

ب- القول بالدورة الحضارية: أي أن المجتمعات والحضارات تمر بثلاث مراحل؛ هي مرحلة النشأة، ثم مرحلة النضج والاكتمال، ثم مرحلة الهرم والشيخوخة وإعلان الوفاة. وما يميز الحضارة الإسلامية عن باقي الحضارات أنها قد تضعف وتتراجع لكنها لا تسقط ولا تموت.

ت- القول بطبيعة الإنسان الاجتماعية: أي أن الإنسان اجتماعي بطبعه وفطرته، فلا يمكن أن يعيش منعزلا عن غيره، بل يعيش في تفاعل وتعاون مع الآخرين، وقد تحصل بينه وبينهم مناوشات تنتهي بالصراع والخصام فتتدخل الدولة بقوانينها للحفاظ على النظام والاستقرار.

ث- صياغة قوانين العمران بناء على المنهج التاريخي ومن خلال خبراته وملاحظته للأحداث التي عاشها؛ لأنه عاش في قصور الملوك، واطلع على دواوين الوزراء، وسار مع الجيوش، وشارك في اتخاذ القرارات السياسية بحكم مكانته العلمية. ورأى بعينيه المؤامرات والخيانة والتنافس على السلطة، وتعرض للظلم والسخط، ودخل السجن وذاق أشد أنواع العذاب...

4) قوانين علم العمران عند ابن خلدون:

أ- قانون الاجتماع الإنساني ضروري: وقد عبر عنه بقوله: "الإنسان مدني بطبعه" وهذا الذي حكم طبيعة التطور الذي تخضع له المجتمعات (الانتقال من مجتمع البداوة إلى مجتمع الحضارة)؛ لأن المجتمع البشري قائم على التعاون بين الأفراد للتحقيق المصالح والدفاع عنها.

ب- قانون التبعية للغالب: وقد عبر عنه بقوله: "المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب والاقتداء به في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه". وهذا يفسر لنا حقيقة التقليد والمحاكاة والتبعية التي تعيشها الدول الضعيفة في علاقتها بالدول القوية، وكذلك الأفراد؛ لأنها تعتقد أن اللحاق بالغالب القوي يستلزم الاقتداء به في كل شيء.

ت- قانون قيام الدول الكبرى على مبادئ مشتركة وموحدة: لا تقوم الدول أو لا تستطيع الثبات والاستمرار بقيادة قبيلة معينة أو حزب معين يسعى إلى تحقيق أهداف خاصة. بل

لابد من وجود مبادئ مشتركة توحد الناس ولا تفرقهم؛ وهي وحدة الدين ورابطة العقيدة والقيم الأخلاقية والمصالح المشتركة. وبدون هذه المبادئ تفقد الأمة وحدتها وقوتها، ويطمع فيها الطامعون.

ث- قانون الحاجة إلى السلطة والملك للحفاظ على الاستقرار: من طبيعة الاجتماع والتفاعل بين البشر أن ينتج عنه الخلاف، وحتى لا يتحول هذا الخلاف إلى صراع واقتتال تضيع فيه الحقوق وتزهق به الأرواح؛ لابد من السلطة لمنع الظلم والحفاظ على الاستقرار.

ج- قانون التداول الحضاري: وهو ما عبر عنه بقوله: "الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص" فالإنسان يمر بثلاث مراحل (الطفولة، ثم الشباب والرشد، ثم الشيخوخة)، ولكل مرحلة خصوصياتها ومميزاتها. وكذلك المجتمعات والدول تمر بمرحلة النشأة، ثم القوة والنضج، ثم الشيخوخة.

ح- قانون الظلم مؤذن بخراب العمران: وهو قانون عام ومطرد، ينطبق على جميع المجتمعات في الماضي والحاضر. وهو مستمد من القرآن وتظهر آثاره وشواهده في الواقع. فكلما حاد الحكام عن قانون العدل ووقعوا في الظلم إلا وأدى ذلك إلى عصيان الشعوب واندلاع الثورات، وبذلك تفقد الدولة قوتها ويعجل ذلك بخرابها وسقوط الأنظمة التي تحكمها.

خ- قانون الترف مهلكة: والمقصود بالترف؛ الغنى الفاحش الذي يحصل بالنهب والسرقة والظلم. فالترف يفتح للإنسان جميع أبواب الفسق والفجور. وكلما انتشر الفسق وبلغ غايته، ولم يقم أهل البلد بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإن سنة الله (الهلاك) ستحل بأهل البلد جميعا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

د- قانون النصر في الحرب: تحدث القرآن عن شروط النصر في أي حرب انطلاقا مما جاء في غزوتي بدر وأحد وغيرهما من الغزوات. ومن هذه الشروط؛ قوة الإيمان، والإخلاص وصدق النية، والتوكل على الله، والأخذ بالأسباب، والصبر والتضحية، والتخطيط الجيد وعبقرية القيادة، والاعتماد على مبدأ الشورى، وطاعة القائد، والاستعداد

اللازم والأخذ بجميع الاحتياطات... ومتى أخذ المسلمون بهذه الشروط إلا أمدهم الله بالتأييد والنصر كما في بدر، ومتى أخل المسلمون بهذه الشروط إلا وحصل الانهزام كما في أحد.

منهج ابن خلدون في علم العمران ودراسة التاريخ:

استفاد ابن خلدون من علم الجرح والتعديل الذي وضعه علماء الحديث من أجل التثبت من صحة وصدق ما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحاديث. فسلك طريقهم في التثبت من الأخبار والمرويات التاريخية. وتمكن من وضع منهج جديد خاص به هو المنهج التاريخي. فهو أول من فطن لهذا المنهج ونادى به، وعنه أخذه الغربيون أمثال أكست كونت الذي وظفه ضمن قواعد المنهج الاجتماعي وسماه بالمنهج السامي، وبه توصل إلى ما سماه بقانون الأدوار الثلاثة. كما استخدمه دوركايم أيضا في الدراسات المقارنة بين الظواهر في الماضي والحاضر...

الفرق بينه وبين علم التاريخ: يقتصر علم التاريخ على دراسة أحداث الماضي فقط، ولا يدرس الوقائع الحاضرة إلا بعد أن تصبح جزءا من الماضي ويمر عليها حوالي نصف قرن من الزمن. أما المنهج التاريخي فيبحث في تطور الظواهر منذ نشأتها في الماضي إلى صورتها في الحاضر.

خطوات المنهج التاريخي:

- التحقق من الوقائع عن طريق التثبت من الأخبار.
- تحليل وتفسير الظواهر في ضوء سياقها التاريخي ومقارنتها بمثيلاتها.
- نقد الظواهر وبيان موافقتها أو مخالفتها لطبيعة العمران.
- الكشف عن القوانين التي تتحكم في الظاهرة.